جماليات الطبيعة فى تصميم الحلي

زينب أحمد منصور
أستاذ مساعد أشغال المعادن بقسم الأشغال الفنية والتراث الشعبي بكلية التربية الفنية — جامعة حلوان

مقدمة :

تميزت الحياة خلال القرن العشرين بسرعة التطور والتغير المستمر، وأصبحت السمة الأساسية لهذا العصر هي العلم والتكنولوجيا، الذي أثرت في مختلف ميادين النشاطات الإنسانية.

ولقد تأثر بذلك مجالات الفنون التشكيلية بصفة عامة ومجال تصميم الحلي بصفة خاصة، حيث لم تعد منطلقات التعبير الفني لدي المصممين ترتبط بالرؤى التقليدية السابقة ، والتى قامت على المحاكاة وإنما اتجهت تلك المنطلقات للبحث والكشف والتجريب والملاحظة من خلال فلسفات فكرية عديدة ، أكدت سمة التفرد في الفكر والتميز في الصياغات الشكلية والتشكيلية إلى جانب تعدد طرق الأداء.

ولعل أهم ما يميز صياغات الحلي خلال القرن العشرين هو سمة الإبداع التشكيلي ، وهي سمة تواجه العديد من التحديدات في هذا المجال ، حيث يعد تصميم الحلي أحد مجالات التصميم التى تتميز بطبيعة خاصة جداً ، نظراً لارتباطها بالعديد من المتغيرات المتعلقة بالمجتمع سواء كانت إقتصادية ، سياسية ، ثقافية ..الخ . وأيضاً رغبات مقتنيها . لذا فالمصمم في هذا المجال غالبا ما يواجه العديد من التحديات والتى قد تتعلق بالبعد البنائي المادي للتصميم وما يرتبط به من مشكلات أو البعد الإدراكي الذي يرتبط بشخصية مقتني مشغولة الحلي. ومن ثم فإن نجاح هذه العملية الإبداعية

يتوقف على قدرة الفنان على إيجاد حلول مبتكرة لأشغال الحلي من شأنها أن تفي باحتياجات مقتنيها من حيث الشكل والغرض والقيمة.

وعلى هذا تتحدد المشكلة في التساؤل الأتي :

- إلى أي مدى يمكن أن تسهم منظومة الطبيعة بما تحمله من نظم وقوانين في إيجاد حلول مبتكرة لصياغات الحلي ترتبط بالشكل وعلاقته بالفراغ .

الهدف :

- طرح مجموعة من الحلول التشكيلية المستحدثة لصياغات الحلي وذلك في ضوء استلهام بعض النظم الجمالية العضوية أو الهندسية المرتبطة بعناصر الطبيعة ، وفي ضوء منظومة الشكل من مساحات وخطوط وملامس وعلاقاتها بالفراغ.
- التأكيد على إن مشغولة الحلي هي منظومة شكلية يجب أن يتحقق فيها الوحدة بين جميع أجزاءها وذلك من خلال التوحد بين العناصر الشكلية ومكوناتها المادية.
- تأكيد أهمية دورا الفراغ كعنصر تشكيلي في صياغات الحلي ، وعلاقته بالعناصر الأخري من مساحات وخطوط وملامس .

الأهمية :

تكمن أهمية التجربة البحثية في كونها رؤية تشكيلية مستحدثة يمكن إن تسهم في:

- توجيه النظر إلى أهمية تنمية الإدراك البصري تجاه النظم الجمالية في الطبيعة من خلال البحث والتمييز والانتقاء للنظم التى يمكن إن تكون فروض قابلة للبحث والتجريب لطرح رؤى جمالية مستحدثة في صياغات الحلي.
- ضرورة توجيه النظر إلى أهمية معالجة العناصر الشكلية في صياغات الحلي في أطار الاهتمام بالجوانب المادية والمضامين التعبيرية وفق منظومة واضحة الأهداف.
- توجيه النظر إلى أهمية مفهوم التوحد ، ودوره في صياغة الحلي من منطلق إنه يجب أن يكون هناك قانون يحفظ للمنظومة الشكلية ووحدتها التركيبية.

وعلي هذا فإن ما تطرحه الصياغات الشكلية من رؤى جمالية ، لا يقف عند حد نوعيات محدده من صياغات الحلي ولكن هي بمثابة مداخل لتوجيه التفكير نحو الجماليات التى تطرحها القيم الشكلية والتشكيلية في الصياغات.

الطبيعة وعلاقته بتصميم الحلي :

تزخر الطبيعة بالعديد من العناصر التى تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الرؤية بالنسبة للفنانين الحلي ، ولا تتوقف مقدرة الفنان المصمم على تأمل الطبيعة وترجمتها في أعماله بل في القدرة على الكشف واستخلاص النظم والقوانين التى تحكم بناء عناصرها ، والتعبير عن ذلك وفق رؤيته الجمالية حيث لم تعد علاقة الفنان بالطبيعة علاقة محددة في التعبير النمطي

الصريح عن عناصرها ، بل تعددت ذلك بكثير نظراً لما طرحته التكنولوجيا من ظواهر لم تكن مألوفة من قبل لنظم صياغة العناصر وتنظيمها .

ومن هنا فإن إدراك النظم والقوانين التى تحكم بناء العناصر إدراك واعياً من شأنه إن يتضمن رؤى جمالية يمكن إن تكون نواة لإبداعات متعددة في مجال صياغة الحلي. "حيث يعتبر الإبداع قدرة على التفكير في نسق مفتوح وعلى إعادة تشكيل عناصر الخبرة في أشكال جديدة". (١- ٥٦) أي أنه شكل من أشكال النشاطات العقلية المركبة الذي يتجه بمقتضاها الفنان للوصول لحلول مبتكرة في صياغاته.

ومما هو جديد بالذكر إن هناك نظم وقوانين تسير بمقتضاها الطبيعة وتتحكم تلك النظم في نمو وبناء كائناتها. وفي سعي الإنسان المستمر للتعرف على تلك النظم التى تحكم بناء العديد في تلك العناصر وجد أن هناك نظم بنائية تقوم على عدد من قوانين التماثل والتوازن والانسجام ، وتتحكم تلك النظم البنائية في النمو العام لشكل العديد من العناصر الطبيعية " (٢-١٣). وقد يشترك أكثر من عنصر في نظام بنائي واحد ولكن يختلف في شكله الظاهري.

ومهما اختلفت العناصر الطبيعية إلا أنها في أغلب أشكالها قد تتضمن نظاماً أما هندسية أو عضوية ، وقد يحتوى العنصر الواحد النظامين معاً. وفي النهاية فإن كلاً من النظامين يتضمن رؤى جمالية عديدة حيث " تعكس الأشكال ذات النسق الهندسي تطبيقاً مباشر للقوانين والتناسبات الرياضية لقوى النمو ، ويدرك من خلالها العلاقات الجمالية المطلقة للخطوط والزوايا والسطوح وانتظام التركيب واتزانه ... وتتسم الأشكال العضوية الحيوية بالإنحناءات والاستدارات والأمتدادات والانسيابية" (٣-٤٢) ومن هنا فإن

مصممي الحلي أمام تحديات عديدة في التعبير عن تلك المنظومة الجمالية الذي ترتبط بقدرة الخالق عز وجل في أحكام صياغاتها.

منظومة الشكل وعلاقتها بالجمال في تصميم الحلي :

عندما نتحدث عن لغة الشكل كلغة يطرحها فناني ومصممي "حلي من أجل التعبير عن أنفسهم والتواصل مع الآخرين فإننا لابد وأن نؤكد على أن أي نظام شكلي يكتسب هويته من خلال ارتباطه بالعناصر الأخرى ووحدة الشكل والهيئة. وأن الوحدة تكتسب صفاتها من خلال الصياغة المحكمة لعناصر العمل الفني. ونؤكد أيضا على أن السمة الأساسية في أشكال الحلي تكمن في إن الجمال هو الهدف الأساسي الذي يسعى المصمم لتحقيقه في صياغته، وذلك في ضوء مجموعة من العوامل وهي الجوانب الوظيفية للمشغولة والتكنيكية والاقتصادية والإنسانية.

ولما كان مفهوم الجمال كما ذكر أرسطو " هو التناسب والتماثل والترتيب العضوى للأجزاء في كل ما هو مترابط من الأشكال" (٤-١٦) وأكده أيضاً أفلاطون بقوله" لا يكون الشئ جميلاً إلا إذا كان متناسباً فالتناسب والانسجام والأتلاف هي خصائص الشئ الجميل ".(٥-٧٠). فإن طبيعة القيمة الجمالية الذي يسعي مصمم الحلي لتحقيقها في أعماله سوف لا تكمن في الشكل فقط بل في وحدة بناء المشغولة، تلك الوحدة الناتجة عن الارتباط الوثيق بين جميع عناصرها معاً. أي أن مشغولة الحلي تصبح في حد ذاتها وحده أو منظومة.

وهو ما دفع الباحثة لتناول مفهوم الشكل وعلاقته بالفراغ كمدخل للتعبير ومحاولة البحث عن هذا المفهوم في عناصر الطبيعة بما تحويه من

نظم وتراكيب في الشكل . ومحاول استشعار قيم خاصة في تلك النظم والتعبير عنها من وجهة نظر الباحثة. وفي ضوء المفاهيم الجشطالتيه التي وجهت النظر إلى البحث واكتشاف طبيعة الحقيقة ومعرفة كيف تترابط بنيتها الداخلية ، وكافة تفاصيلها ، وكيف يؤدي الجزء إلى الكل ومن هنا فإن لغة الشكل في الطبيعة سوف تحوى مساحات عضوية أو هندسية ونظم ملمسية ، ونظم خطية ، نظم بنائية ، قد تعتمد على التعامدات ، أو المحاور بأنواعها أو التكرارات ، أو العلاقات الفراغية بكافة أنواعها. وسوف تكون تلك العناصر بنظمها المتنوعه بمثابة أبجدية لطرح قيم جمالية وتشكيلية مستحدثة خلال مجموعة من صياغات الحلي يطرحها البحث الحالي.

وسوف تعتمد الصياغة الشكلية على محورين :

الأول : صياغات يحكمها إطار خارجي عضوي أو هندسي وتمثل المساحة والخط والفراغ دوراً هاماً في هيئتها .

الثاني : صياغات لا يحكمها إطار خارجي ويمثل الخط والمساحة والفراغ دوراً هاماً في هيئتها.

وسوف يتم إلقاء الضوء على كلا من المعطيات الجمالية للخط والفراغ وعلاقتهما بتصميم الحلي .

المعطيات الجمالية للخط وأهميتها في تصميم الحلي:

يلعب الخط باختلاف أشكاله دوراً هاماً وأساسياً في بناء الأعمال الفنية فقد يكون محيطا لمساحة معينة أو شكلاً أو أداه للتحديد ، ويقوم أيضا بتحديد إتجاه الحركه وامتداد الفراغ وأحياناً يكون الخط وصفياً مما يساعد على إيجاد الإحساس بالصدق تجاه الطبيعة"(٦ – ٢٣٧) .

وفي صياغات الحلي تعتبر الخطوط عنصراً تشكيلياً هاماً في البنـــاء ويتم التعبير عنها في هذا المجال من خلال الأسلاك ذات الأقطار المختلفـــة من حيث السمك والشكل الذي يتنوع ما بين المربـــع والمثلـــث والمســـتطيل والدائرة.

وتمثل الخطوط بأنواعها خلال صياغات الحلي في البحـــث الحـــالي دوراً مميزاً، حيث أصبحت بمثابة أبجدية للتشكيل فلم تقف عنـــد حـــد أنـــها عنصر تشكيلي في البناء الكلي للمشغولة ، بل أصبحت أيضاً بمثابـــة مـــادة يصنع منها وحدة أو هيئة لها مقوماتها الجمالية وطاقاتها الحيويـــة، فســـوف يكون لنظم توزيعها داخل صياغات الحلي دوراً جمالياً حيث ستسمح لبعـــض أشكال الحلي بالخروج من الهيئات التقليدية التى تحكمها أطر محددة كالدائرة والمربع والمثلث ... الخ ، إلى أطر أكثر حرية وعضوية وذلك في ضـــوء وحدة بناء المشغولة المتمثلة في الجوانب الوظيفية والتكنيكية والاقتصاديـــة والإنسانية والجمالية.

كما سوف تمثل الخطوط خلال الصياغات دوراً هاماً فـــي تحديـــد الهيئات والأشكال العضوية والهندسية المستلهمة من الطبيعة ، هذا إلى جانب ما تسهم فيه من التعبير عن العديد من النظم الملمسية التى تحويـــها بعـــض العناصر الطبيعية ، ويتم التعبير عن ذلك من خلال التقنيات المتعددة، إما من خلال المعالجة بالحرارة، أو التشكيل بالأسلاك أو التشكيل الغائر والبـــارز ، كما سوف يكون لها أيضاً دوراً فعال في تأكيد علاقـــة الأشـــكال ببعضـــها البعض وذلك من خلال نظم توزيعها وتكرارها. هذا بالإضافة إلى ما ســـوف تسهم به العلاقات الخطية الناتجة عن التراكب والتداخل بين الأسلاك المختلفة من أشكال فراغية تسهم في تأكيد البعد الثـــالث فـــي الصياغـــة ، وأيضـــا

الإحساس بالتجسيم وذلك من خلال المعالجات التقنية التى تسهم في تكتلـــها على سطح المشغولة في نظم واتجاهات مختلفة.

كما سوف تسهم في إظهار وتأكيد الحركة كقيمة داخـــل صياغـات الحلي نتيجة تنوع اتجاهاتها وأشكالها ، سواء كان ذلـــك وفـق التعـامدات الرأسية والأفقية أو المحاور أو التراكبات الجزئية أو الكلية ، وفق العديد مـن الأساليب التقنية.

كما تسهم أيضا الخطوط خلال الصياغات فـــي تـأكيد المضمـون التعبيري بما تسمح به من إيحاءات شكلية أو رمزية لطبيعية العناصر الـذي يتم التعبير عنها. وطبقا لنوع الخط المستخدم وسماته التعبيرية ســواء كـان مستقيم أو منكسر أو منحني. الأمر الذي يجعل من الخطوط لغة شكلية داخل صياغات الحلي في البحث.

المعطيات الجمالية للفراغ وأهميته في تصميم الحلي :

لقد أصبح عنصر الفراغ يمثل دوراً هاماً وأساسيا في بناء الأعمـــال الفنية إلى جانب العناصر الأخري.

وفي مجال تصميم الحلي يلعب الفراغ دوراً تشـكيليا ممـيزاً. هـذا بالاضافة للدور الوظيفي الهام الذي يمثله داخل صياغات الحلي ، حيث يسهم وجوده في التقليل من وزن المشغولة والشعور بعدم الثقل تجاهـــها كجـانب سيكولوجي وسوف يكون لعنصر للفراغ الحقيقي النافذ والفراغ الإيهامي فـي صياغات الحلي خلال هذا البحث دوراً تشكيلياً وجمالياً حيث سيسمح توظيفه بتخلل المساحات المسمطة ليحولها إلى أشكال وهيئات تعبيرية ذات بعد ثالث حقيقي ، ويتم ذلك من خلال عمليات الشق والحني ، أو التفريـــغ ، التشـ

بالحرارة. وقد تكون هيئة الفراغ أما في صورة خطوط أو مساحات. كما يسمح توظيفه وفق بعض النظم التكرارية المتصاعدة في الإحساس بالحركة الإيهامية وأيضا تأكيد البعد الثالث في المشغولة. كما إن تكراره بشكل متماثل ومتعادل مع الأشكال حوله يمكن إن يحقق نوع من التشكيل المزدوج بين الأشكال والفراغات . هذا بالإضافة لتخلل الضوء من تلك العلاقات الفراغية الأمر الذي يؤكد الإحساس بالتجسيم والعمق في الأشكال . ويتم ذلك من خلال التحكم في توزيع الخطوط – التى تمثلها الأسلاك – رأسياً أو أفقيا أو في تعامدات مختلفة.

كما يسهم أيضا توظيف عنصر الفراغ الحقيقي في إعطاء الإحساس بالاستمرارية داخل الصياغات التى لا يحدها أطار خارجي ، حيث يتخلل العناصر وينتشر خارجها الأمر الذي يؤكد الهيئة ويجسمها . كما يسمح توظيفه أيضاً بوجود علاقات فراغية زخرفية نتيجة تراكب الخطوط والمساحات بشكل غير منتظم داخل بعض الصياغات ، الأمر الذي يسهم في تأكيد الأشكال وتحديدها وتجسيمها أيضاً.

كما يسمح توظيف الفراغ الإيهامي داخل الصياغات بإعطاء الإحساس بالبعد والعمق ويسهم في تجسيم المفردات الشكلية .

كما ينبغي الإشارة إلى أهمية ودور الفراغ في العمل على ربط محتوى الصياغة الشكلية للحلي بخلفيه المشغولة والتى قد تمثلها الملابس ذات الألوان المختلفة، أو جسم الإنسان الذي يتزين بها . ومن هنا نجد أن الفراغ سيمثل بعداً مكانياً في تصميم المشغولة ويعكس رؤية واقعية لها . ويصبح أيضاً بمثابة مادة تصنع منها هيئات لها مقوماتها الجمالية والتعبيرية.

النتائج:

خرجت نتائج التجربة البحثية في صورة مجموعة من صياغات الحلي وعددها اثني عشر مشغولة تتضمن جميعها فكرة البناء الذي تعتمد على إن مشغولة الحلي هي منظومة ، يجب أن تتميز بالوحدة بين جميع عناصرها.

وهي كالتالي :

نماذج من أعمال الباحثة

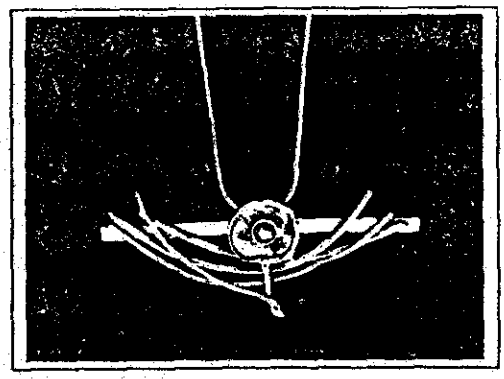

شكل (١)

دلايـــة صدر مصاغة من الفضة نفذت بأسلوب التشكيل بالسلك والإضافة والترصيع والتقبيب والحرارة.

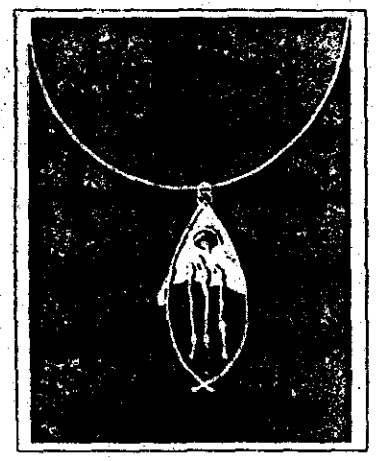

شكل (٢)

دلايـــة صـــدر مصـــاغة من الفضة ، نفذت بأســلوب التشــكيل ، بالســلك ، والإضافة والتفريغ والترصيع والحرارة .

شكل (٣)

دلاية صدر مصاغة من الفضة ، نفذت بأسلوب التشكيل بالسلك والشق والحني ، والإضافة والتشكيل بالحرارة .

شكل (٤)

دلايـة صـدر مصـاغة من الفضة ، نفذت بأسـلوب التشـكيل بالسـلك والغائر والبارز والإضافة والتشكيل بالحرارة .

شكل (٥)

دلايـة صـدر مصـاغة مـن الفضة ، نفذت بأسلوب التشكيل بالشريحة والسلك والإضافة والحرارة والترصيع .

شكل (٦)

دلاية صدر مصاغة من الفضة ، والعقيق ، نفذت بأسلوب التشكيل بالإضافة والسلك والترصيع.

شكل (٧)

دلاية صدر مصاغة من الفضة واللابس ، نفذت بأسلوب التشكيل بالاضافة والحذف والترصيع والتشكيل بالحرارة.

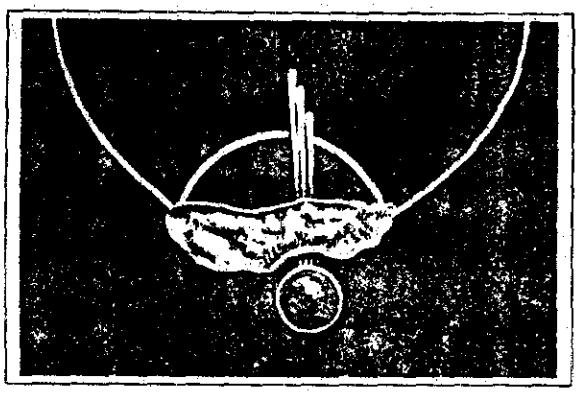

شكل (٨)

دلاية صدر مصاغة من الفضة والعقيق ، نفذت بأسلوب التشكيل بالسلك والاضافة والترصيع والتشكيل بالحرارة.

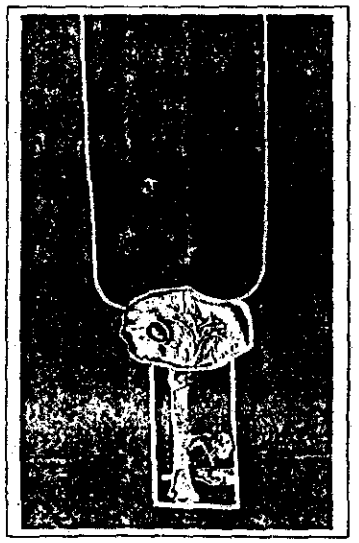

شكل (٩)

دلاية صدر مصاغة من الفضة والعقيق ، نفذت بأسلوب التشكيل بالتفريغ والإضافة والتقبيب والتشكيل بالحرارة والقطر .

شكل (١٠)

دلاية صدر مصاغة من الفضة والصدف، نفذت بأسلوب التشكيل بالسباكة بالشمع المفقود والإضافة والترصيع والحنى .

شكل (١١)

دلاية صدر مصاغة من الفضة والعقيق، نفذت بأسلوب التشكيل بالشريحة والحذف والإضافة والترصيع والتشكيل بالحرارة .

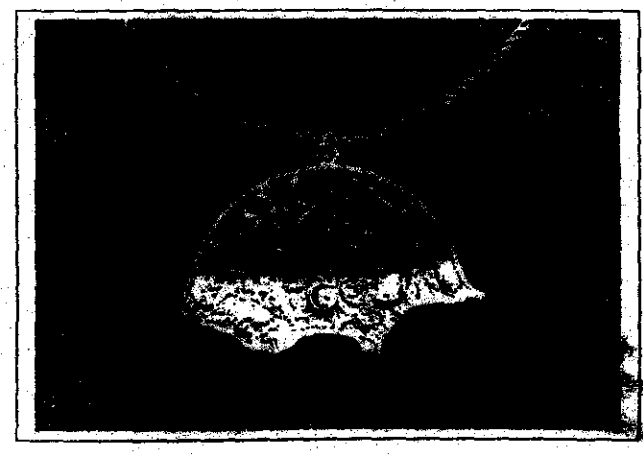

شكل (١٢)

دلاية صدر مصاغة من الفضة ، نفذت بأسلوب التشكيل بالتفريغ والإضافة والسلك والتشكيل بالتقبيب والحرارة .

المراجـــع

١- أمل سعيد سلطان : جماليات النظم الخطيـــة فـــي مختـــارات مـــن العناصر النباتية كمدخل لاستحداث صياغات حلي معدنية ، رســـالة ماجستير ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ، ٢٠٠١م.

٢- برنارد مايرز : الفنون التشكيلية وكيف نتذوقـــها ، ترجمـــة ســـعد المنصوري ومسعد القاضي ، مكتبة النهضـــة المصريـــة ، يونيـــو ١٩٦٦م.

٣- عبد الستار إبراهيم : ثلاث جوانب من التطور في دراسة الإبـداع ، دوريه عالم الفكر ، العدد الرابع ، المجلد الخامس عشـر ، ١٩٨٥ م ، وزارة الإعلام ، الكويت.

٤- عبد الفتاح الديدى: فلسفة الجمال ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ١٩٨٥م.

٥- عبد الفتاح الديدي: فلسفة الجمال ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ١٩٨٥م.

٦- محمد محمد دسوقي : حوار الطبيعة مع الفن التشكيلي ، المعرفـــة البصرية وأسس التكوين ، مطبعة نصر الإسلام ، ١٩٩٠م.